



تاريخ الموسيقى العربية وبيئة المعلّومي

ساهم العرب في تطوير جوانب عدة في الحضارة الإنسانية، إذ ظهرت بصمتهم واضحة من خلال الكثير من الإنجازات في الطب والفلك والعلوم والفيزياء والهندسة وغيرها.

إلا أن إسهاماتهم لم تقتصر على الجانب العلمي، بل امتدت إلى الرسم والعمارة والغناء والموسيقى، فازدهر الفن في أوج الحضارة الإسلامية إبان الخلافة الأموية فالبغدادية ثم في الأندلس.

بداية العرب مع الموسيقى

كانت الموسيقى في الشعر الجاهلي لا تتعدى عملية الترتيم في الشعر، أما الآلات الموسيقية فلم يكن لها أثرها البارز في تاريخ الموسيقى العربية في العصر الجاهلي، إذ كان العرب في ذلك الزمان يؤثرون سماع الغناء الصوتي بدلاً من العزف الآلي ليتسنى لهم تذوق معاني الشعر. واقتصرت مهمة الآلة الموسيقية على مرافقة الغناء الصوتي والتمهيد له. في الخيمات البدوية، أكدت الموسيقى كل حدث في حياة الإنسان، وكانت تزين التجمعات الاجتماعية الخاصة بهم، كما استخدمت لتحريض المحاربين، وشجعت المسافرين الصحراوي، واستخدمت في وعظ الحجاج عند الحجر الأسود للكعبة في مكة المكرمة.

في أسواق العرب، ولا سيما السوق في بلدة عكاظ غرب الجزيرة العربية، نظمت مسابقات الشعر والعروض الموسيقية بشكل دوري، وجذبت أكثر الشعراء الموسيقيين تميزاً. هؤلاء كانت موسيقاهم أكثر تطوراً من تلك التي تمارس في الخيمات البدوية.

في بداية ظهور الإسلام لم تكن الموسيقى والغناء منتشرة بشكل واضح، واقتصرت على أغاني الحرب وأغاني المناسبات الخاصة مثل الزفاف خصوصاً عند أهل المدينة حيث كان يستخدم الدف.

ومع اتساع حركة الفتوحات الإسلامية، زاد تواصل العرب مع الثقافات الأخرى في سوريا والعراق ومصر وبلاد فارس، وهو ما أثر بشكل عميق على المجتمع العربي.

تعلم العرب العزف على الآلات الموسيقية والعزف على العود خصوصاً من الفرس والروم، واستطاعوا أن يطوروه بما يتناسب مع أذواقهم وأوزان أشعارهم.

تكون وتبلور هذا الفن في مدة لا تزيد عن 40 عاماً من القرن الأول الهجري، ولما انتقلت ألحان العصر الأموي إلى العصر العباسي تم جمعها في كتب ومدونات. ويعود الفضل في ذلك إلى ريادة **إسحاق الموصلي** الذي وصفه أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني، بأنه إمام أهل صناعة الموسيقى جميعاً ورئيسهم ومعلمهم وهو الذي صحح أجناس الغناء وطرائقه. وكان الموصلي يرى أن من حق صناعته عليه أن يحفظ أصولها التي وضعها رواد الغناء والموسيقى في العصر الأموي بالرواية الأمانة المتقنة. وبفضل الموصلي اتسعت وتأصلت عملية تدوين الغناء، ويرجع إليه كتابة أول نوتة موسيقية عربية، وقال عنه الخليفة المأمون إن الموصلي أكثر ديناً وعلماً وعفافاً ومروءة من بعض كبار القضاة والعلماء، وقيل إنه لولا شهرته في الغناء لصار من القضاة في عصره لشدة تمسكه بالعدل، وكان يدخل مجلس الخلافة مع الفقهاء قبل أن يدخله مع المغنين والملحنين

اشتهر في الأندلس الملحن والمغني زرياب، خلال الثلث الأول من القرن الثالث الهجري، وهو الذي هاجر من بغداد إلى المغرب ثم الأندلس. تتلمذ زرياب على يد إسحق الموصلي الذي قدمه للخليفة هارون الرشيد، ويرجع إلى زرياب **تطوير** العود بإضافة وترين رفيعي الصوت من الحرير وثالث من أمعاء شبل أسد غليظ الصوت. ومن الثابت أن أول من أدخل تحسيناً على العود الفارسي كان الملحن العربي زلزل، أشهر ضارب عود في بغداد في ذلك الوقت.

نضجت مواهب زرياب في قرطبة عندما اتصل بملوك الأندلس الذين غنى لهم روائع ألحان مطربي مكة والمدينة وبغداد، وكان زرياب أعظم فناني الأندلس لكنه لم يكن وحده فقد هاجر إلى الأندلس مع عدد غير قليل من مطربي بغداد وملحنها. في ذلك العصر بدأ الغناء العربي يزدهر وتغنى المغنون بأعذب أشعار الشعراء العرب وعلى رأسهم عمر بن أبي ربيعة.

أهم إسهامات العرب

ربما لا يعرف فنانون ومغنون القرن الـ 21 أن الكثير من حرفتهم هذه تعود إلى إسهامات المسلمين خصوصاً في القرن التاسع.

يعتبر **الكندي** أول من دون الموسيقى بالأحرف الأبجدية، ويشهد على ذلك السلم الموسيقي الذي دونه في مخطوطته الموسيقية، وذلك نسبة لأوتار العود. وكذلك وجدت مخطوطة للكندي سجل فيها لحن مدون يضعه كتمرين ودرس أول للتلميذ الذي يتعلم الضرب على العود. هذا اللحن يعتبر أقدم وثيقة موسيقية للحن مدون ليس عند العرب فقط بل في تاريخ العود. هذا الاختراع هو ما جعل باحثين يقولون إن الجداول الموسيقية الحديثة مستمدة من الأبجدية العربية.

أسس **زرياب** أول معهد للموسيقى في العالم في مدينة قرطبة، حيث اختار تلاميذه الموهوبين ولقنهم الغناء بطرق فنية، تختلف كل فئة منهم عن غيرها تبعاً لاختلاف طبيعة أصوات أفرادها.

زرياب هو أول من وضع قواعد لتعليم الغناء للمبتدئين وأهمها أن يتعلم المبتدئ ميزان الشعر ويقرأ الأشعار على نقر الدف ليتعلم الميزان الغنائي، ويعطى اللحن للمبتدئ ساذجاً خالياً من كل زخرفة.

وقد أدخل زرياب على فن الغناء والموسيقى في الأندلس تحسينات كثيرة، أهمها أنه جعل أوتار العود خمسة مع العلم أنها كانت أربعة أوتار، وأدخل على الموسيقى مقامات كثيرة لم تكن معروفة قبله، وافتتح الغناء بالنشيد قبل البدء بالنقر.

محمد وأحمد (أبو جعفر) والحسن بن محمد بن موسى بن شاكر، هم رياضيون وفلكيون ومشتغلون بالميكانيكا، من خراسان، عاشوا في القرن التاسع الميلادي. **اخترع** هؤلاء الإخوة أول آلة موسيقية ميكانيكية معروفة، وهي آلة تعمل بالطاقة المائية وتُشغل أسطوانة قابلة للتبديل تلقائياً.

هذه الأسطوانة ذات الدبابيس على سطحها ظلّت الجهاز الأساسي لإنتاج وإعادة إنتاج الموسيقى ميكانيكياً حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

اخترع بنو موسى أيضاً مشغل ناي يبدو أنه كان أول آلة قابلة للبرمجة. صوت الناي كان يصدر من خلال البخار الساخن ويمكن للمستخدم ضبط الجهاز على أنماط مختلفة للحصول على أصوات مختلفة منه.

يذكر أنه من بين العديد من الأدوات التي **وصلت** إلى أوروبا عبر الشرق الأوسط، كان العود والرهاب، والأخير هو سلف آلة الكمان.

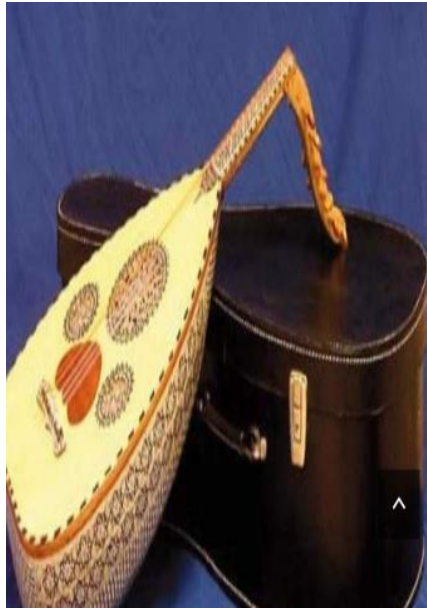


«لم أشك للحظة في أن الموسيقى والتفكير متشابهان، بل يمكن القول أن الموسيقى هي طريقة أخرى للتفكير، وربما التفكير ما هو إلا نوع آخر من الموسيقى» - أورشولا لي جوين.

الموسيقى هي اللغة الوحيدة التي اتفق عليها العالم. نجدها تُكتب وتقرأ وتعزف بشكل واحد في كل زمان ومكان "

نيتشه "بدون الموسيقى ستكون الحياة مجرد غلطة ."

قال أبو حيان التوحيدي : " الغناء معروف الشرف ،عجيب الأثر عزيز القدر ظاهر النفع في معاينة الروح ومناغاة العقل وتنبيه النفس وأجتلاب الطرب وتفريج الكرب وإثارة الهزة وإعادة العزةوما لا يحصى عدّه...."



ليلة المعلوي

بينما كتب «أبو الفرج الأصفهاني» [897-967 ميلادية] كتابه الشهير الأغاني، وهو مجموعة موسوعية من القصائد والأغاني التي تصل إلى أكثر من 21 مجلدًا في الطبقات الحديثة، جمع فيه إنتاج أكثر مشاهير الجاهلية والإسلام في الغناء والموسيقى..

أهم المؤلفات العربية في الموسيقى :

رسالة في خبر تأليف الألحان للكندي: ويوجد هذا المخطوط الآن في المتحف البريطاني. وهو يشتمل على أول بحوث في نظرية الموسيقى العربية، وفيه طريق خاصة للتدوين الموسيقي. كتاب الموسيقى الكبير للفارابي: وهو أعظم الكتب الموسيقية التي كتبت على الإطلاق. الجزء الخاص في كتاب الشفاء للرئيس ابن سينا وفيه جزء هام للغاية عن النظرية الموسيقية العربية.

كتاب الأدوار لصفي الدين : ويعترف كروسلي هولاند أن كل من كتب في النظريات الموسيقية بعد صفي الدين اعتمد اعتمادا كبيرا على كتاب الأدوار وجعله أساسا لبحوثه ودراساته.

مكتبة المعلومات